علماء وأعلام

ابن داود القمي قدس سره

أبو الحسن محمد بن أحمد بن داود (٣٦٨ ق) المعروف بابن داود القمى فقيه ومحدث شيعي في القرن الرابع للهجرة من مشايخه الكليني وابن عقدة وأبو الشيخ الصدوق.

■ ولادته ونسبه

ولد محمد فى قم في أسرة علمية كان والده احمد بن داوود من المحدثين ووثقه النجاشى وكانت والدته من سلالة المحدثين أيضا.

■ حياته العلميه

ولد ابن داوود بقم كما درس فيها قم ثم غادر إلى بغداد قبل ٣٣٣ بعد الهجره وأقام هناك وبدأ في تدريس الحديث. عرفه النجاشى شيخ القميين فى عصره وعالما شيعيا. وروى النجاشى عن ابن الغضائري أنه لم ير أحداً أحفظ وأفقه وأعلم بالحديث من ابن داود.

وقد روى ابن داوود عن أبيه وخاله سلامة بن محمد وعن كثير من المحدثين، منهم محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد القمي، ومحمد بن يعقوب الكليني، وابن عقدة، ووالد الشيخ الصدوق.

وقد روى عنه ابنه أحمد وأمثال الشيخ المفيد والغضائرى وابن عبدون وأبو غالب الزراري وابن نوح.

وأيضا في سنة ٣٦٠ بعد الهجره أذن لمحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سميع بالرواية وألف كتبا متعدده فى العلوم الاسلامية.

■ أساتذته

محمد بن يعقوب الكلينيابن عقدة
سلامة بن محمد
محمد بن حسن بن أحمد بن الوليد قمي
علي بن الحسين بن موسى بن بابويه

■ تلامذته

الشيخ المفيد
ابن الغزائري
ابن عبدون
أبو غالب الزراري
ابن نوح
محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سميع

■ مؤلفاته

ومن بين مؤلفاته العديدة، لم يبق إلا مخطوطة واحدة من كتاب المزار وهو على الأرجح كتاب الزيارة والفضائل الذي نقل عنه ابن طاووس وعلى رأي النجاشي فإن المؤلفات المنسوبة إلى ابن داود هى:

- كتاب المزار
- كتاب البيان عن حقيقة الصيام
- كتاب الحديثين المختلفين
- كتاب الذخائر
- كتاب الرد على ابن قُولَويه فى الصيام
- كتاب الرد على المظهر الرخصه فى المسكر
- الرسالة فى عمل السلطان
- كتاب السبحة
- كتاب صلوات الفرج وادعيتها
- كتاب العلل
- كتاب فى عمل شهر رمضان
- كتاب الممدوحين والمذمومين

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب "الرد على علي بن قولوية في الصيام" ألفه ردا على رأي ابن قولوية الفقيه المعاصر لابن داود في عدم قصر شهر رمضان وابن قولوية دافع أيضا عن رأيه في كتاب "الرد علي بن داود في عدد شهر رمضان ".

■ وفاته

توفي ابن داود رضوان الله عليه سنة ٣٦٨ بعد الهجرة بالبطحية ودفن فيها ثم نقلت عظامه إلى بغداد ودفنت في مقابر قريش.

مقتطف

المرجعية ودورها في نهضة الأمة في كلام الإمام الخميني قدس سره

كانت للإمام الخميني جذور راسخة في أعماق الحوزة العلمية. ولم يكن طارئاً عليها لتفصله عن ماضيه وتلقي به أمواج التجدد في غياهبها لتنسيه المتداول من سننها وأعرافها. لقد كان يتابع عن كثب ومنذ قرن من الزمان ببصيرته الثاقبة الجهود المخلصة للمرجعية الشيعية بوجه (الحداثة والعصرنة ذات التبعية). لقد عاش محنة المراجع إزاء القضاء على المعتقدات الدينية، ولمس صمود وشموخ رموز المرجعية وتصديهم لمنطق القوة الغاشمة المتغطرسة رغم نحافة أجسامهم.

كان الإمام يشمئز من التنكر لدور المرجعية، ويعزي أسباب ذلك الجهل وإيحاءات المستعمرين. كان يستاء من الإفراط القشري أو المغرض، وكثيراً ما كان يذكر مخاطبيه الذين أغمضوا أعينهم عن الماضي بتلك المفاخر والمشاهير المشرقة مكيلاً لهم المدح والثناء.

لم ينفك الإمام _سواء في مجابهته لنظام الشاه أو المتظاهرين بالثقافة الذين سعوا حثيثاً إبان الثورة لتحجيم دور المرجعية وعلماء الدين_ عن الإشادة بأمجاد مراجع الشيعة في إرساء دعائم استقلال إيران، ناهيك عن صمودهم ومجابهتهم لكافة أشكال الاستعمار والتسلط. لقد كان يصر في أكثر من مناسبة على أن استقلال إيران والعراق كان رهيناً لما بذلته المرجعية الشيعية من جهود مضنية في هذا الخصوص.

لقد كان للحضور الفاعل لمراجع التقليد في نهضة التنباكو _سيما تلك الفتوى المعروفة التي أطلقها الميرزا الشيرازي_ أن لا تبتلي إيران بالمصير الذي طال الهند وأن يجر الاستعمار البريطاني أذيال الخيبة والخسران. ولذلك فإن على كافة الإيرانيين ممن لم يتغاضوا عن سمو النفس أن يدينوا بالفضل لتلك الفتوى والنهضة العظيمة، النهضة التي حطمت غرور واقتدار الدولة البريطانية وأشعرتها بمدى أصالة الشعب الإيراني، طاردة من ذهنه حلم استعباده والسيطرة عليه.

قال الإمام مذكراً بنهضة التنباكو: "رغم أنه [الميرزا الشيرازي] كان عقلاً مفكراً وكان يقيم في سامراء، داعياً الناس للتحلي بالصبر ورباطة الجأش والهدوء، إلا أنه حين شعر بأن الخطر محدق بكيان الإسلام وأن الشاه أصبح آنذاك أداة بيد المؤسسات والدوائر الأجنبية التي كانت تفكر في القضاء على الإسلام، فان هذا الشيخ الكبير الذي كان يسكن تلك المنطقة الصغيرة ولم يجتمع حوله من طلبة العلوم الدينية أكثر من ثلاثمئة، لم يرد بدأ من إرشاد ونصح ذلك الحاكم المستبد، وما زالت كتاباته محفوظة، إلا أنه لم يعر نصحه آذاناً صاغية ونعت ذلك العالم الفذ بأسوأ التعبيرات الأمر الذي دفعه إلى إطلاق تلك الفتوى الشهيرة التي أدت إلى استقلال إيران".

نهضة الدستور (المشروطة) ودور علماء الدين فيها هي الحادثة التاريخية الأُخرى التي تطرق لها الإمام في أحاديثه ولم يألو جهداً في ترسيخها في أذهان الجيل المعاصر. كانت نهضة الدستور (المشروطة) رغم ما اكتنفها وما قيل بشأنها تهدف للحد من الاستبداد وإعادة تنظيم صفوف الأمة لمجابهة الاستعمار والأمبريالية.

لقد تبلورت هذه النهضة التي حققت إنجازات سياسية واجتماعية عظيمة لشعبنا وأُمتنا بفضل فتاوى وإرشادات مراجع الدين في النجف وإيران، وعلى الرغم من الجهود والمحاولات اليائسة التي بذلها بعض المؤرخين المنحرفين للتقليل من شأن المرجعية ودورها في هذا المجال وإسنادها لطائفة وفئة أخرى في عرضهم، إلا أن أدنى تأمل يُشعر بأنها كانت وليدة (الفتوى).

قال الإمام بشأن الجهد الذي بذلته المرجعية في هذه النهضة: "لقد انطلقت هذه النهضة [المشروطة] على يد العلماء من النجف وكذلك قادها العلماء في إيران... الجميع يعرف محمد علي الميرزا كيف كان سبعاً ضارياً وكذا الآخرين، وقد نهض العلماء بوجه الانفراج في الاستبداد لكن لا كما كانوا يصبون إليه".

إن المجابهة المباشرة وغير المباشرة لعلماء الدين والمرجعية بوجه نظام رضا خان المتغطرس لتعد نقطة مشرفة في تاريخ المرجعية، وإن أول نظام سياسي ساد إيران وأخذ بزمام الأمور بإشارة من الغرب هو حكومة الانقلاب التي كمت الأفواه هنا وهناك، إلا أن المرجعية وعلماء الدين انفردوا بمقارعة استبداد رضا شاه وجبروته.

وسرعان ما انضوت الجبهة الثقافية _التي انبثقت من دار الفنون والدستور_ تحت لواء تلك الحكومة لتمارس مهامها في "العدلية" و"البلدية" و"المعارف" ولم تفق من تلك الغفلة [المشوبة بالنعمة طبعاً] حتى لا ينسى لها سماع زئير طائرات الحلفاء أجواء طهران.

لقد تكلم الإمام من حين لآخر بشأن هذه الفترة متطرقاً لآية الله مدرس، كونه يمثل إحدى الحلقات المهمة لتلك الأسطورة الخالدة، مذكراً بعظم موقفه حيال الاستعمار والاستبداد وما تحلى به من شجاعة فائقة وإقدام إزاء الإرهاب والاضطهاد.

أضف إلى ذلك فإنه كان يلمح لنهضات علماء قم وأصفهان بزعامة الحاج نور الله الإصفهاني، وللجهود المضنية لمراجع خراسان بقيادة الحاج حسين القمي والسيد يونس الأردبيلي وغيرهما، وكذا لصمود ومقاومة علماء آذربيجان وسائر المناطق الإيرانية إبان العصر الاستبدادي لرضا خان، ويقول:

"حين قام رضاخان بانقلابه وأمسك بزمام الأمور .. لم ينبري له ويقف بوجهه إلا علماء الدين، حيث ما زلنا نستذكر قيادتهم للنهضة تلو الأُخرى، النهضة التي انطلقت في مدينة إصفهان ثم اجتمع زعماؤها من علماء كافة البلاد في مدينة قم المقدسة، ثم امتدت لتشمل خراسان وفي طليعتها العلماء الأعلام الذين أودعوا جميعهم السجن.. ثم عمدوا لفطاحل علماء آذربيجان المرحوم الميرزا صادق والمرحوم انكجي والآخرون لينفوهم عمن مناطقهم".

الحادثة الأخرى التي كان قد تطرق لها الإمام مراراً هي حركة علماء العراق ومناهضتهم للاستعمار الإنجليزي.

لم يكن من المعقول أن يتصدى أولئك العظام كالميرزا محمد تقي الشيرازي، ويقفوا بوجه الهجمة الشرسة للجيش البريطاني. وذلك أن بريطانيا إبان القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت ترى نفسها إمبراطورية عظمى لا تقهر، محطمة خطط الساسة وتطلعاتهم، سالبة نعاسهم ومؤرقة ليلهم.

والحق أن هذه المفردات لم يقصد منها المبالغة والاستغراق، بل هي غيض من فيض ذلك الواقع المرير آنذاك، وفي ظل تلك الأجواء هب العلماء دون أن يشعروا قلوبهم أدنى خيفة، واقتحموا ميدان الصراع داعين الأمة للجهاد والثورة. ولم يكن هناك من ينهض بهذا الأمر سوى مراجع العراق.

لقد تحدث الإمام بشأن هذه الحقبة من تاريخ العراق قائلاً: "إن الميرزا الشيرازي الثاني، هذا الشخص الجليل العظيم ذو المنزلة الرفيعة المرموقة علماً وعملاً، هو الذي أفتى بالجهاد وأنقذ العراق.. لقد لبى الشعب العراقي بقبائله نداءه ووقفوا إلى جانبه مضحين بالغالي والنفيس حتى نالوا استقلالهم".

وقال "إن الملالي [علماء الدين] هم الذين أنقذوا العراق وحرروه من سيطرة الاستعمار الانجليزي.. كان ذلك الملا هو الذي اقتحم ميدان الصراع في العراق فتعرض للأسر.. كان المرحوم السيد محمد تقي الخوانساري أحد أولئك الذين التحقوا بالجبهة ونهض لمقارعة الأعداء حتى وقع في الأسر".

هكذا روى الإمام تلك الوقائع على أنها تمثل حلقة مهمة من التاريخ المعاصر، حيث كان للمراجع والمرجعية بالغ الأثر في رسم خارطة التاريخ. وبقيت هذه الحقيقة ناصعة رغم الجهود والمحاولات الفاشلة التي بذلها النظام البهلوي والأقلام المأجورة لأولئك المتلبسين بالثقافة، بغية تحجيم ذلك الدور والتقليل من شأنه، بل محوه من صفحة التاريخ.

ولا بد من الإذعان هنا بأنه _ وللأسف_ قد تكللت بعض تلك الجهود والمحاولات بالنجاح، فهناك فئة تسعى جاهدة للحط من قيمة هذا التراث الدموي للمرجعية وعلماء الدين، في محاولة لتهميش الدور التاريخي للمرجعية بهدف الحيلولة دون إقبال الجيل المعاصر على الإلمام بهذا الفصل التاريخي العريق.

إحدى المجلات كانت وما تزال تسعى أن تظهر محايدة بعيدة عن روح الإفراط والتعصب، وقد حاولت أن تثبت من خلال تجربة عشر سنين، أنها من المتحمسين الجديين لإصلاح المؤسسة الحوزوية العلمائية، لذلك فكانت ولا تزال بين الفينة والأخرى تتعرض لماضي الحوزات وحاضرها بالنقد والتحليل، مما حدى بها أن تكون في معرض اللوم والمؤاخذة بسبب انتقاداتها الصريحة مرات وكرات خلال مدة انتشارها؛

ومما يجدر ذكره هنا أنه في إطار تصنيف وتقييم الأفراد أو الجماعات وتوضيح وجهات النظر لا بد من طرح هذه المسألة المهمة وهي أنه هنالك بون شاسع صريح بين حدود نقد المؤسسة المرجعية الحوزوية وبين إجهاضها والقضاء عليها. والحق أن يقال _وللأسف_ أنه قد ضل وأخطأ من اعتقد بأن شرط الانفتاح الديني هو الاستغناء عن نظام الحوزة العلمية.

كما ضل أتباع الانفتاح اللاديني في مناهضتهم للحوزة، بل لم يكن أمامهم سوى الغرق في وحل الغرب أو فناء أعمارهم عبثاً في كتلة الشرق. ولا ينبغي أن يوجه بجيل الشباب الذين يرون بعض الفجوات في النظام وعلماء الدين _بحجة التجديد_ نحو نهج قد لا يؤدي إلا إلى تصدع وحدة الأمة وانهيار وفاقها الوطني.

هذا ولا ينبغي أن يساء تفسير هذه الملاحظة التي أوردناها بحسن نية. فتكون عقبة في طريق إبداء النظر بين الأطراف المختلفة، فإننا ومن يشاطرنا الرأي في الحوزات الدينية لا نتفق وأي نوع من أنواع تصفية الحسابات (سواء السياسية أو في الإطار الفكري والثقافي، الذي يفترض أن يكون اعقد وأدق).

وبناء على ما تقدم فلا يجدر بمن خوطب بالملاحظة التي أشير إليها أن يتلقاها نوع من البرود وعدم الاكتراث، كالدعوات السابقة الأخرى والمرتجى من هذا الجيل الواعي المتحلي بالثقافة الدينية أن يسلك نهجاً صائباً كالماضي في تقييمه الواقعي للمؤسسات الاجتماعية بما فيها الحوزة العلمية وعلماء الدين.

وأن يقر بالجميل لآثارها الخيرة وبركاتها ويثمن دورها في إحياء الدين وتجسيد عزة المسلمين، ناقلاً هذه الحقائق لأولئك الغافلين عنها.

وهنا لا بد من الاعتراف بأن الحوزة العلمية والجامعة تضمان جيلاً واعياً يقظاً يمكنه أن يقود العملية الإصلاحية الاجتماعية، ولا شك أن أولئك المغرضين في كلا المؤسستين _الحوزة العلمية والجامعة_ الذين يثيرون التشاؤم وسوء الظن سوف لن يكون لهم من اسم يذكر في صفحات تاريخ النهضات والأفكار التحررية للعالم الإسلامي.

المصدر: كتاب
"دراسات في الفكر السياسي عند الإمام الخميني"،
ترجمة عبد الرحيم الحمراني

صدر حديثاً

صدر حديثاً عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية التابعة للعتبة الحسينية المقدسة الأجزاء (٤، ٥، ٦، ٧، ٨) من: "الموسوعة العلمية من كلمات الإمام الحسين عليه السلام" باللغتين العربية والفارسية، تأليف: علي أصغر رضواني وجمع من الفضلاء. وهي موسوعة علمية تتناول موضوعات علمية وفكرية متنوّعة مستقاة من التراث الذي وصلنا من كلمات الإمام الحسين عليه السلام وخطبه وكتبه ورسائله وأدعيته التي بين أيدينا.

وقد كان تأليفها وتبويبها على عناوين وأبواب كليّة عامّة تتبعها فروع كثيرة في أنواع العلوم الحديثة والقديمة، فكان العمل بتحقيق علمي وأسلوب جميل وقلم موحّد تحت إشراف هيئة علمية متخصصة، ويعدّ هذا العمل أحد أهم الموسوعات العلمية التي تقوم بإصدارها مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية.